عنوان المقال: معالم التجريب في رواية " شياطين بانكوك " لعبد الرزاق طواهرية

الأستاذ المشرف: بلقاسم ذوادي

اسم الباحثة: ليندة بن عباس

الرتبة العلمية: طالبة دكتوراه السنة الثالثة

المؤسسة المنتمية إليها: جامعة محمد البشير الإبراهيمي ــ برج بوعريريج ــ

الهاتف: 07.99.82.41.60

عنوان البريد الإلكتروني:benabbaslynda@gmail.com

الملخص بالعربية:

تميزت الرواية المعاصرة بالليونة، هذه الأخيرة التي جعلتها أكثر قابلية لتحويل مستجدات الحياة إلى امكانية جديدة توظفها في بنائها، خاصة مع التطور العلمي الذي جعل معظم المجتمعات حول العالم أكثر ارتباطا بالتكنولوجيا ووسائلها وعلى رأسها الإنترنت التي غدت حياة الكثيرين مرتبطة بها وخاضعة لقوانيها، متجاهلين بذلك الوجه الآخر لها، إذ هي فضاء خفي وغرفة مظلمة لا رجوع منها لمن غاص في أغوارها، ومن الروائيين الجزائيين الذين طرقوا هذا العالم المرعب وحاولوا كشف مستوره المصمم والروائي الجزائري عبد الرزاق الطواهرية في روايته" شياطين بانكوك"، التي خاض فيها تجربة ابداعية فريدة من نوعها تستحق الوقوف عندها بالدراسة والبحث خاصة عن معالم التجريب؛ فقد تطرق إلى موضوع مغاير تماما لما كان سائدا مرافقا بذلك التطور التكنولوجي .

الكلمات المفتاحية: التجريب، الرواية، الديب ويب، الفنون، الوسائط التكنولوجية.

الملخص بالانجليزية:

The modern novel is characterized by softer, which made it even more capable to challenging life's progress into new possibilities that used in its construction. In particular with the scientific development which made most societies around the world more linked to technology and its means, especially the internet, which is the main center of many lives that has became associated and subject to their laws. In addition, they forget that those who sunk in its depths can't be returned to the first point as it is a hidden space and a dark room.

The Algerian novelist Abdel Razzak Al-Tawaher is one of the criminal novelist who addressed this horrible world and tried to uncover in his novel "shayatin Bangkok" where he fought a kind of innovative experiment merited deeper study and research in particular experimentation parameters because he touched to a completely different subject to what required including the subject of technological development.

Keywords: Experiment, Novel, deep web, art, technological Mediators

المعروف أن الرواية جنس أدبي يتميز بالرحابة والاتساع الأمر الذي يسمح للروائي بالتعبير بكل حرية عن قضايا تمس الإنسان وهمومه، بالإضافة إلى امكانية جعلها قناع للتخفي ونقل قضايا لا يمكن التصريح بها علنا هذا فضلا عن كونها من أكثر الأنواع الأدبية قابلية لإحتواء أنواع أخرى كالفنون البصرية والرسم؛ إذ أنها« ليست ثابتة ومنتهية بل هي سيرورة تحول وتحويل تنمو وتتطور تتفاعل مع تطور المجتمع البشري وتتفتح على كل المستجدات والتغيرات »[1]، فهي ليست بمعزل عن الواقع و الروائي العربي يطمح دائما إلى التغيير

والإتيان بالجديد بما يتواكب مع تطورات العصر وتغيراته، كما يسعى دائما إلى مسايرة رغبات القارئ من خلال اتيانه بالجديد في كل مرة سواء على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون، عبر كسر الرتابة القديمة وإعادة صياغة العمل الروائي بطريقة غير معتادة.

ومن هذا المنطلق حاولنا أن نعرج في هذه الدراسة إلى رواية جزائرية معاصرة بقلم روائي ومصمم شاب هو(عبد الرزاق طواهرية) والمعنونة ب " شياطين بانكوك "، والتي عمل فيها على الإنزياح والخروج عن الكتابة الجاهزة شكلا و مضمونا.

معالم التجريب في رواية " شياطين بانكوك "

تمتد أحداث رواية(شياطين بانكوك) على طول(140) صفحة، اعتمد فيها صاحبها على السرد الكيثف والإستبطان الذاتي والواعي بعوالم الشخصية؛ كما طرح ضمن متنها عددا من الأفكار الجريئة التي تهدد بالموت المحتم كل من تسول له نفسه السير على منوالها ومحاولة تطبيقها على أرض الواقع.

إن الحديث عن التجريب الذي هو « اتجاه جديد في التقنية الروائية، اعتمده الأدباء المعاصرون من أجل تجاوز واقعهم الفني المستهلك »[2] يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الإبداع الذي لا يتأتى من فراغ وإنما هو حصيلة تراكم التجارب في مخيلة صاحبه فالتجريب « قرين الإبداع لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغامر في قلب المستقبل»[3] والمبدع الحقيقي هو الذي يمكنه أن يحافظ على الأصل مع إضافة لمساته السحرية التي تحدث خلخلة وكسرا لأفق التوقع لدى المتلقي الذي يبقى متعطشا دائما للجديد وبموجب ذلك« أخذت الأشكال الروائية تتنوع وتنتقل من مرحلة تعلم الصنعة إلى مرحلة التشكيل الواعي لوظيفة التقنية الفنية وامتداداتها المضمونية فالأزمنة أصبحت متداخلة، حلزونية المسار والصيغ ابتعدت عن اللوحات الإشتمالية(البانورامية) لتتغلغل في التفاصيل والوصف الدقيق والحوار بدأ يتسع ليشمل مختلف مستويات اللغات الاجتماعية المتعايشة والمتصارعة ولم يعد السرد قائما على فكرة الإيهام بالواقع من خلال سارد عالم بكل شيء لقد تعددت منظورات الحكي ووجهات نظر السرد، مما يسر التقاط التعقيدات والتشابكات القائمة في واقع المجتمع وفي خطاباته واتجاهاته الفكرية والإيديولوجية»[4] فالشكل الروائي لم يعد ذلك الشكل الذي عهدناه في بداية ظهوره، وإنما طرأت على هيكله تحديثات جديدة أملتها الظروف الراهنة، بمعنى إحلال قيم فنية جمالية محل قيم أخرى صارت في حكم القديم حيث صار« الكاتب أو المؤلف وهو يكتب كلماته أو يؤلف بينها يبني عوالم نصه وفق كيفية ما: محاكيا بناءات موجودة، أو مبدعا في نطاق الممكن النوعي، طرائق جديدة في تنظيم بنياته النصية التي يتشكل منها النص الذي يبدع وفق رؤيته لعمله الإبداعي أو تبعا لضرورات تشكيل المعنى»[5]، ولقد استطاع الروائي (عبد الرزاق طواهرية) في روايته " شياطين بنكوك " خلق عوالم جديدة جعلت نصه الروائي قادرا على الإستجابة لتطورات العصر، وقد تجلت عوالم التجريب في روايته على عدة مستويات منها:

1_ التجريب على مستوى العنوان:

يعد العنوان من أهم العناصر في بناء النص الروائي وهذا لكونه المدخل الأول والأساسي لدراسة أو قراءة أي عمل ويعرفه (لوي هويك) بأنه « مجموعة العلامات اللسانية، من كلمات وجمل، وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي، وتجذب جمهوره المستهدف»[6]، فالعنوان هو أول شيء يبحث عنه المتلقي من العمل كونه يضعه في صلب الموضوع ويلفت انتباهه له.

اختار الروائي " طواهرية " عنوانا بسيطا لروايته (شياطين بانكوك)، لكنه عنوان غامض مشبع بالعديد من الحمولات والدلالات المكثفة، الكفيلة بتحريك شهية القارئ وإثارة شغف التأويل والبحث فيه عن معان هذه الكلمات المنتقاة بدقة، لكشف مستورها وفك شيفرة النص ككل.

ومما لاشك فيه أن الروائي في انتقائه لهذا العنوان لم يكن عشوائيا لأنه أراد ب" شياطين بنكوك" أهم الشخصيات التي تركت أثرا كبيرا في حياته وهي (شخصية كريستينا) التي استدرجته من كندا إلى بانكوك لبيع أعضائه بطلب من أمير عصابة المتاجرة بالأعضاء (بيل الأرنب)، بالإضافة إلى الممرضة التي قامت بانتزاع كليته في سيارة الإسعاف" وغيرهم من المجرمين الذين نعتهم بالشياطين لأنه لم تكن في قلوبهم رحمة أو شفقة ولا مجال للعب معهم.

جاء العنوان في " شياطين بنكوك " جملة اسمية؛ والمعروف أن الجملة الإسمية تحيل دائما إلى الثبات والاستقرار بعكس الجملة الفعلية التي توحي بالحركة وغرضه من ذلك تأكيده على صفة الشر التي طغت على الشخصيات التي تعامل معها، والملاحظ في هذه الجملة الاسمية أنه حذف أحد طرفيها وهو المبتدأ أصلها " هذه شياطين بانكوك " وأبقى على الخبر" شاطين" الذي قصد من ورائه

تنبيه القارئ وجعله طرفا مشاركا في نقل هذا الخبر الثقيل إلى كل من تسول له نفسه خوض التجربة التي خاضها البطل " قيصر" اللعب مع عصابات القتلة المأجورين، وبالعودة إلى كلمة " شياطين " نجد أنها صفة تطلق على روح شريرة تعرف كيف توقع بالآخرين، وقد جاءت على صيغة الجمع(منتهى الجموع) لأنها أطلقت على مجموعة من الأشخاص، كما جاءت معرفة بالإضافة (بانكوك) وهي مدينة تقع في شرق آسيا عاصمة " تايلاند"، وقد اختار الروائي هذه المنطقة عنوانا لروايته حتى يحدد مكان الأحداث الرئسية في الرواية وهي أحداث اتصفت بالدموية؛ فقد تم استدراج البطل والتنكيل به هناك على يد شياطينها الذين أذاقوه الويلات قبل قتله وبيع أعضائه وهذا ما أوضحته له إحدى الشخصيات الشيطانية وهي " كرسيتينا " قبل أن يتم القبض عليه« مؤسف لي إخبارك بأن رئيسنا يسعى لبيعك بعد إمساكك مباشرة... كصفقة مربحة لأحد المنظمات المتاجرة بالأعضاء البشرية... والتي تتعامل بدورها مع مجموعة من الأطباء غير الشرعيين الذين يمارسون نشاطاتهم في الخفاء... فهذا النوع من النشاطات الممنوعة يعود على تلك المنظمات المشبوهة بأموال طائلة... حيث تعرض أعضاؤك للبيع في سوق الإنترنت المظلم تماما كالقطع الصغيرة للسيارات والأشد مرارة هو الخيار الثاني الذي يمكن برئيسنا أن يتخذه بشأنك... فقد تصبح مادة دسمة تعرض في أحد المواقع الإلكترونية الشبيهة بالغرفة الحمراء the red room، هناك سيتم التصويت على قتلك من طرف المشتركين المخفيين حول العالم، بعد تعذيبك بأبشع الطرق والأدوات... وهذا مقابل دفع مبالغ مالية كبيرة تحول إلى إدارة الموقع "بالبيتكوين " فلا شك أن أغلب التصفيات الجسدية بين منظمات القتلة المأجورين والزبائن قد تحال إلى خدمة المواقع الإلكترونية الشبيهة بالغرفة الحمراء»[7].

وقد جاء هذا العنوان في أعلى الغلاف الخارجي الأمامي للرواية بخط أكبر من الخط المستعمل في كتابة اسم المؤلف وذلك للفت انتباه القارئ ، كما وردت صياغته بلون أبيض الذي يوحي إلى السلام وربما يشير ذلك إلى شخصية البطل البريئة التي راحت ضحية فضولها ومحاولة فضح أفراد العصابة وقد أحاط بهذا اللون الأبيض لون أحمر يحيط به من كل النواحي مما أوحى باستحالة نجاته من هاته العصابة، وهنا إشارة واضحة من المؤلف إلى حالة البطل والنهاية المأساوية له، وأسفل هذا العنوان أورد مصطلح (جحيم الدارك ويب) ويقصد به ذلك الجحيم الذي عاشه البطل خلال تعامله مع الويب، يتصدر هذا العنوان اسم الكاتب الذي يعد « من بين أهم العناصر المناصية المهمة فلا يمكننا تجاهله أو مجاوزته لأنه العلامة الفارقة بين كاتب وآخر، فيه تثبت هوية الكتاب لصاحبه ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية على عمله »[8] وهو " طواهرية عبد الرزاق " وقد كتب بخط صغير الحجم بلون رمادي يوحي بغموض شخصية الكاتب نفسه.

2 _ التجريب على مستوى الغلاف:

من مظاهر التجريب في الرواية أيضا نجد الغلاف الذي هو من تصميم وصنع الروائي نفسه الذي عرف جيدا كيف يصيغه بما يخدم المضمون، فأول ما سيتوقف القارئ هو صورة الأشكال والوجوه الغريبة التي طبع بها الروائي روايته، والتي تمثلت في صورة كائنات غريبة بشعة المظهر لا هي بحيوانية ولا بشرية وإنما جمعت بين الإثنين معا؛ أجسام بشر برؤوس أرانب توهمك وكأنك ستقرأ قصة خيالية أبطالها من رسوم الكارتون(والت ديزني)، لكنها في الواقع قصة حقيقة، وقد صبغ الروائي هذه المخلوقات والغلاف باللون الأحمر القاتم الذي هو عادة ما يرمز للدماء والقتل والجريمة ليكون بذلك حاملا للعديد من مضامين الرواية، وقد كان هذا اللون رمزا للغرفة الحمراء التي مقرها تايلاند عاصمة بانكوك، وهي عبارة عن استوديو تصوير يقدم عرض أسبوعي مباشر يستحضر فيه أشخاص أبرياء بنية التعذيب، نتيجة تلاعبهم مع أعضاء القتلة المأجورين، وقد ساهم هذا الإختيار في الألوان والأشكال في إحداث انسجام وتوافق بين النص والغلاف(الألوان والأشكال) الذي يمكن من فك شيفرة النص.

كما تميز غلاف هذه الرواية بإحتوائه على بعض الرموز والأيقونات التي تعد بمثابة ملخصات لكل حدث في الرواية، وهذا ما يجعلنا نقول أن الروائي عرف كيف يشتغل جيدا على مساحة الغلاف بطريقة جميلة تثير فضول القارئ في معرفة السر وراء هذا التوظيف لكل عنصر وارد فيه، ولعل من أبرز الرموز الواردة في الغلاف الأمامي للرواية هو وضعه لكلمة " رواية " وسط الحرف الأجنبي(o) كما أنه نحته على شكل حبة بصل ليظهر أن هذا عالم الانترنت يشبه حبة البصل التي تحتوي العديد من الطبقات التي لابد من المرور بها قبل الوصول إلى اللب الذي هو بعيد كل البعد عن المتخيل البشري وهذا ما جاء على لسان السارد في الرواية « شبه خبراء الإنترنت مستويات (the deep web) بحبة البصل التي تحتوي على طبقات متعددة تحمي لبها الخارجي، فالإنترنت العميق يتكون بدوره من

طبقات وهمية عديدة محمية ومخفية عن عامة الناس الذين يستخدمون الإنترنت العادي، فكل طبقة منها نظم عالما غريبا محفوفا بالمخاطر والممنوعات، وهذه الطبقات ما هي إلا أجزاء صغيرة لقسمين كبيرين افتراضيين، أحدهما الإنترنت الخفي ويضم مواقع لبيع الأسلحة والمخدرات وعرض المواد الإباحية الممنوعة[...]، أما الجزء الآخر والأخطر فيدعى بالإنترنت المظلم ويضم تكتلات لأقوى الهاركر المحترفين في العالم، ومواقع غريبة تعرض مقاطع فيديو حقيقية لآكلي لحوم البشر، وهم يستمتعون بطهي أبناء جلدتهم بشتى الطرق المجنونة[...] »[9].

أما عن الواجهة الخلفية للرواية فقد احتوت على نفس الأشكال الغريبة وبنفس اللون، كما تضمن أيضا صورة الروائي الشاب وموجزا عن سيرته الذاتية، وكذا بعض الأيقونات التي ترمز إلى بعض الأعمال الخفية التي تحدث على مستوى النت، اضافة إلى كلمة الناشر الذي هو الروائي نفسه والتي اقتبسها من مضمون الرواية، وقد افتتح ذلك المقتبس بعنوان الرواية (شياطين بانكوك) ولكن هذه المرة باللون الأحمر فقط لأن المقطع المقتبس أخذ من حادثة اتصفت كثيرا بالدموية، وقد تعمد الروائي ذلك ليترك القارئ في سؤال وحيرة حول معرفة السبب الذي كان وراء هذا الحدث الدموي، اضافة إلى توظيفه لصورة طفل برأس منزوع العينين بلون رمادي جانبه الأيسر ملون بالأحمر، وهنا اشارة واضحة من المؤلف إلى تلك الأرواح البريئة التي تقتل وتعذب بدون ذنب لغرض الاستمتاع والمتاجرة بأعضائها، اضافة إلى اسم دار النشر(المثقف)، ليكون بذلك الروائي قد أبدع بحق وكان متفردا في طريقة لعبه على الغلاف واستغلال مساحته أحسن استغلال على مستوى العنوان و اللون والأشكال، فقد وفق في تصميمه تماشيا مع المضمون.

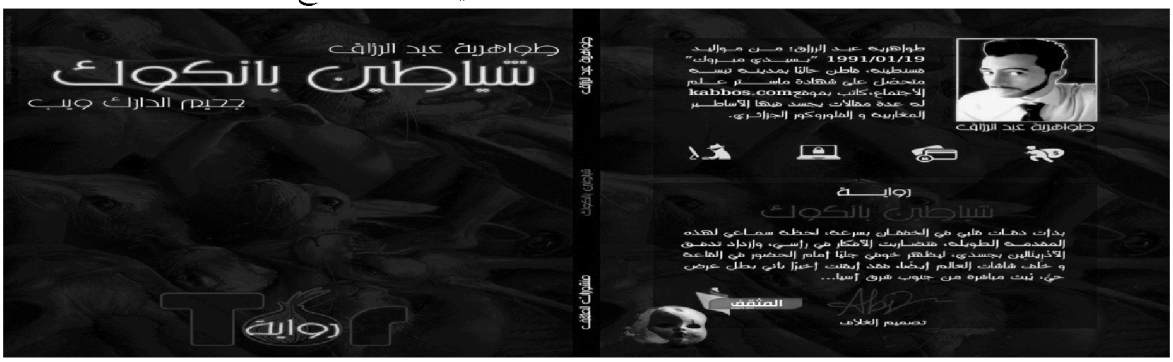

3_ التجريب على مستوى البداية(جمالية البداية ومتاهتها)

تندرج رواية " شياطين بانكوك " ضمن ما يسمى بأدب الغموض كونها اعتمدت على الحياة الافتراضية (الديب ويب أو الإنترنت الخفي)، يقول " طواهرية في مطلع روايته عن عالمه الخاص« سأحيطكم علما بأن عالمي أحيك في رواية سلطت الأضواء على أكثر الأماكن إثارة للجدل في عصرنا الحالي، واقتحمت جدران الصمت التي تخفي من وراء أصوات المعذبين في الأرض جدران تحرسها تعويذة رقمية حملت اسم the dark web عالما شاذ وغامض تلغى فيه القوانين تماما، ليكون الشر والقتل سيدا عليها، تحت عملة وراية واحدة هدفها الأول إشباع النزوات البشرية، تلك التي حرمتها الأديان السماوية، وعاقبتنا عليها قوانين الطبيعة حفاظا على الأمن والسلام، حتى وسائل الإعلام كانت شحيحة في فك أسرارها على شاشات التلفاز أو محطات الراديو، ربما لندرة المعلومات عنها أو خوفا من التعرض للابتزاز والتهديد»[10]، وكما قلنا سابقا أن صاحبها عمل على كسر الرتابة على مستوى العنوان والغلاف، كذلك اختلفت روايته هذه أيضا عن الرواية التقليدية في البداية، التي تعد بمثابة البوابة التي يلج القارئ عبرها إلى النص وتستدعي مخيلته وحواسه، فقد تخلى طواهرية عن البداية التأليفية المألوفة، واختار لروايته مقدمة تمهيدية مشحونة بالغموض والمعاني التي من شأنها جعل القارئ أكثر شوقا ولهفة لمتابعة القراءة إذ استهل روايته بقوله:« مادام غذائك يقدم على مائدة الإنترنت الظاهريthe surface web، فإني أعزمك الليلة لمأدبة عشاء فاخر على مائدة الإنترنت العميقthe deep web [...]سأقدم لك عدة بوابات وعليك اختيار الأنسب لتدخلها: بوابة الإنترنت الخفي بذوق الفراولة_ بوابة الإنترنت العميق بذوق الشكولاطة _ بوابة الإنترنت المظلم بذوق الفانيلا_ بوابة الإنترنت السفلي بذوق الكراميل. الآن وبعد اتمامك الإختيار سأعلمك بأن جميع هذه البوابات وما يعتليها من أذواق ليست مختلفة عن بعضها البعض، فجميعها تقودك إلى نقطة واحدة وهي نقطة اللاعودة [...] جميعها ستذيقك طعما وحيدا وهو مذاق الدماء الدافئة»[11]، فبهذه البداية الشيقة عمل طواهرية على زج القارئ في عالم يجهل حقيقته وبالتالي اثارة فضوله أكثر وحمله على متابعة القراءة حتى النهاية.

4 _ التجريب على مستوى الشكل(التقطيع السردي):

ونقصد به تقديم المتن الروائي على شكل فصول معنونة، والذي حاول من خلاله الروائي تكسير الحبكة الفنية التقليدية؛ حيث أنه قسم روايته إلى ثماني فصول معنونة كانت على النحو التالي: الفصل الأول(غريب في عالم غريب_ ميدوسا تريد اللهو... فهل من متبرع؟)، الفصل الثاني(الخطيئة)، الفصل الثالث(قلب مسيطر وعقل مطيع)، الفصل الرابع(في كف الأعداء)، الفصل الخامس(موعد في الجحيم)، الفصل السادس(عندما يتحول الصياد إلى فريسة)، الفصل السابع(فوضى في بانكوك)، الفصل الثامن والأخير جاء معنونا ب(رائحة الموت _ ميدوسا لا تعرف اللهو... ولكنها تجيد القتل)، كما ضمن كل فصل منها اقتباسا مختلفا عن الآخر للعديد من الشخصيات العالمية مثل (جورج برنارد شو« كونك لا تقوم بالأمور التي يتوجب عليك القيام بها فهذا لن يجلب لك السعادة لكنه أمر عظيم»، غاندي« قد لا تعرف أبدا نتيجة أفعالك، لكن إذا لم تفعل شيئا فلن يكون هناك نتائج»، توفيق الحكيم« ذلك الانتظار الحلو المر انتظار شيء جميل يرجو أن يحدث ولن يحدث» فيكتور هيجو« المرأة دمعة وابتسامة: دمعة من سماء التفكير وابتسامة في حقل النفس» مثل انجليزي« من الأفضل مجابهة الخطر مرة واحدة بدلا من البقاء دائما في خوف وهلع»، نجيب الكيلاني« فرق كبير أن تعيش في السجن وبين أن يعيش السجن فيك، بلوتارخ« يقود القدر من يتبعه، ويجر من يقاومه »، مثل روماني« الرجل الشرير كالفحمة إذا لم تحرقك سودتك»)، ولم يكن توظيفه لهذه الاقتباسات عشوائيا أو من باب الصدفة أو اضافة جمالية وإنما كان عن قصد فقد استطاع من خلاله أن يقدم جزء كبيرا من مضمون الفصل الواحد لكن بشكل موجز مكثف لغويا ودلاليا بعيدا عن الإطناب، وقد عكس هذا الاقتباس ثقافة الروائي الواسعة وتسلحه بأدوات معرفية وثقافية واسعة واطلاعه على العديد من الثقافات الغربية إضافة إلى العربية ولعل ماساعده على ذلك هو دراسته لعلم الاجتماع والبحث الأثروبولوجي، إضافة إلى اشباعه كل فصل من فصول روايته بصور تعكس مضمون الفصل وتلخصه ولكن هذه المرة بتقنية أخرى هي تقنية الصورة والتي جاءت كلها باللون الأبيض والأسود، وقد أوجزت الكثير من الأوصاف والأحداث بلغة صماء معبرة صارخة بدموية الأحداث.

4_ التجريب على مستوى اللغة:

لم يستخدم الروائي في روايته اللغة العامية في جميع صفحات الرواية، واقتصر فقط على الفصحى كما سعى إلى تخصيص لغته الإبداعية ضمن اللغة السائدة ذلك أن « الرواية الجديدة تبرز أكثر قاموس الكلام المقتبس لألفاظ أجنبية وتعبيرات متصلة بالحياة اليومية والوسائط التكنولوجية المعوضة لوسائل الاتصال التقليدية»[12]، حيث ركز الروائي على مفردات أجنبية خاصة الانجليزية (te deep web_ the dark web....) وغيرها من المصطلحات الأجنبية التي تعامل معها أثناء تصفحه لبعض المواقع والتي أشار إلى بعضها بالتفصيل في قوله « ذات ليلة وبينما أتصفح بعض المواقع الإلكترونية للنت الخفي على متصفح " تور "، والتي عادة ما تنتهي بكلمة: (onion.) أو (bit .)بدلا من (com.)»[13] وتعبيرات أخرى مرتبطة بالحياة اليومية والوسائط التكنولوجية المرتبطة بالأنترنت ووسائل الإعلام والاتصال كونه تعامل مع ظاهرة غريبة جرت أحداثها في عالم افتراضي غير مألوف في المجتمع العربي فطبيعة الموضوع هي التي فرضت عليه توظيف تلك المصطلحات الأجنبية كونها هي المصادر الأصلية للتكنولوجيا .

5_ التجريب على مستوى المضمون:

الموضوع:

تعد تجربة الروائي" طواهرية " ظاهرة ابداعية فريدة من نوعها على مستوى الوطن العربي، كونها تطرقت إلى موضوع حساس بعيد عن مجتمعنا العربي ألا وهو عالم الديب وويب أو الإنترنت فلطالما سمعنا عن جرائم واختلاس للأموال ولكن لا نعرف الطريقة التي تتم بها ولكن هذه الرواية توضح بشكل دقيق وتفضح بعض المواقع التي تمارس أعمالا من هذا القبيل ناهيك عن مواقع وعصابات القتلة المأجورين حيث جاء في مفتتح هذه الرواية اشارة واضحة من الكاتب إلى الموضوع المطروح وخطورته في قوله« سلطت الأضواء على أكثر الأماكن اثارة للجدل في العصر الحالي، واقتحمت جدران الصمت التي تخفي من ورائها أصوات المعذبين في الأرض، جدرانها تحرسها تعاويذ رقمية حملت اسم web the dark عالمها شاذ وغامض، تلغى فيه القوانين تماما، ليكون الشر والقتل سيدا عليها تحت عملة واحدة هدفها الأول اشباع النزوات البشرية، تلك التي حرمتها الأديان السماوية وعاقبت عليها قوانين الطبيعة حفاظا على الأمن والسلام، حتى وسائل الإعلام كانت شحيحة في فك أسرارها على شاشات التلفاز أو في محطات الراديو ربما لندرة المعلومات عنها أو خوفا من التعرض للإبتزاز والتهديد»[14].

تدور أحداث رواية " شياطين بانكوك" حول حياة شاب جزائري طموح جدا وحالم وقع في فخ أحضان التكنولوجيا (الإنترنت) خاصة منتديات القرصنة الإلكترونية حيث جاء على لسان البطل الذي هو نفسه الكاتب« عند بلوغي سن الشباب والذي صاحبه ظهور التكنولوجيا وجدت نفسي تدريجيا أقع في فخ ادمانها[...] فالتميز الذي لم أحظ به في الحياة الواقعية أردت أن أناله في الحياة الإفتراضية لذا اهتممت كثيرا بدخول منتديات القرصنة الإلكترونية وسعيت للإنضمام إلى مجموعة الهاكرز الهوات والشغوفين»[15]، ليسحبه ذلك العالم الرقمي دون رحمة أو شفقة بسبب فضوله الدائم، ففي البداية كان هدفه الوحيد التأكد من صحة نشاطات بعض المنظمات (خاصة منظمة القتلة المأجورين) « لقد لفت انتباهي السياسة الحذرة لهذه المنظمة في التعامل مع زبائنها، ولكن هذا لم يمنعني أبدا من تنفيذ خطتي التي سهرت الليالي من أجل رسم معالمها، فبدأت في الحين بملء بيانات الضحية، والذي لم يكن سوى " خوسيه مينو " نفسه فبصفته حديث الوفاة، فقد اعتبرته بذلك طعما فعالا لاستدراج أفراد تلك المنظمة إلى منزله، وتحقيق غايتي في التأكد من صحة نشاط هذا الموقع الإلكتروني من عدمه»[16]، فقد أراد فضحها بعد التأكد من وجودها فعلا وممارستها مهامها الوحشية على أرض الواقع لذلك قال:« لقد قررت في هذه اللحظة اتمام مهمتي الخاصة التي توقفت عنها منذ رحيلي إلى هنا، فضلا على ذلك فقد صممت على تحويل هدفي من نظري إلى تطبيقي، وذلك بسعيي لاختراق الموقع الإلكتروني لعصابة القتلة المأجورين الناشط في الإنترنت المظلم، بنية منه انقاذ مئات الأرواح البريئة حول العالم والتي راح معظمها كضحايا لهذه المنظمة الإجرامية وكل هذا بعد أن أجمع عنها ما يفيدني ويساعدني من معلومات وحقائق... فكوني أملك موهبة الاختراق، فلما لا أستخدمها في شيء مفيد لإضفاء بعض من السلام على هذا العالم الهمجي، والذي لم يعد للأمن فيه مكان» [17] ، لتكون نهايته مأساوية جدا بعد أن أحتيل عليه إذ تم استدراجه إلى مراكز عملها في(بانكوك) وذلك من خلال إيقاعه في فخ المساعدة من قبل الشيطانة "كريستينا " التي أخبرته أنه « خلال عملي بالمنظمة اكتشفت هناك مفتاح النجاة.. تأكد أنك مهما فررت منهم سيجدونك ويقتلونك في أي مكان تختبئ فيه، منذ خمس سنوات تقريبا ارتكب عضو جديد في المنظمة خطأ جسيما.. وهذا أثناء قيامه بمهمة تصفية رجل صيني يعيش بتايلاند... فقد أخطأ الهدف وقتل أحد أبناء الشخصيات الدبلوماسية المرموقة.. ليتم الإمساك به من طرف الشرطة التايلاندية.. فاعترف بكل شيء عن رفاقه ما جعل المنظمة توقف نشاطها لبعض الوقت.. وتلغي أي مهمة لها على مستوى التراب التايلاندي، ولهذا سيكون قتلنا مستبعدا...إن استطعنا السفر إلى هناك في أقرب وقت ممكن »[18] لتكون نهايته في الأخير(يد مقطوعة أجبر على أكلها في مشهد تشمئز له الأبدان وكلية معروضة للبيع، وفي النهاية الطعن بالسكين من الأمام والخلف ونزع العينان ثم حرقه بالبنزين) وهذا ما جاء على لسان صاحب الشرطة التي طلب من أصدقائه إبقاء الموضوع سرا وبعيدا عن الصحافة « من المؤسف فعلا إخباركم بأن صديقكم قد تعرض للقتل بأبشع الطرق التي يمكن تصورها، وذلك قبل وصوله إلى المطار بدقائق، فقد طعن بسكين على مستوى الصدر والبطن، كما أضرمت النار في جسده بعد أن أقتلعت عيناه، ولحسن الحظ فإن أفراد الشرطة التايلاندية قد عادت وأخمدت النيران من الجثة، وتمكنت القبض على الفاعلين اللذين لم يكونا سوى فردين من أحد عصابات المتاجرة بأعضاء البشرية، والتي تمارس نشاطها على مستوى جنوب شرق آسيا»[19] فانتقمت منه وذلك بعد أن أفشى جميع أسرارها وطرق عملها للشرطة فالإنترنت عالم خفي منظماته قوية خطرة تسعى للانتقام من كل شخص تخاله نفسه قادرا على اللعب معها وهو ما حدث لبطل الرواية " قيصر رزقي" التي أدرك هذه الحقيقة المرة بعد فوات الأوان.

6_ تذويت الكتابة:

لعل ما يميز الكتابة في رواية " شياطين بانكوك " هو ورودها على شكل سيرة ذاتية تناولت قصة " قيصر رزقي " « أعرفكم عن نفسي.. أدعى قيصر رزقي.. أنا شاب جزائري في الخامس والعشرين من العمر ولدت بمدينة الجسور المعلقة قسنطينة، في أسرة تتكون من خمس بنات وأخ وحيد،كنت مغرما بالرسم والكتابة منذ صغري، فضلا عن حبي لمطالعة القصص المصور للمانجا اليابانية والتي كانت تجذبني كثيرا»[20] مع الإنترنت التي تبدو وكأنها تتحدث عن حياة الروائي نفسه وهذه ميزة تميزت بها النصوص الروائية الجديدة « وهي ما نطلق عليه تذويت الكتابة، أي حرص الروائي على إضفاء سمات الذاتية على كتابته وذلك من خلال ربط النص بالحياة والتجربة الشخصيتين، وجعل صوت الذات الكاتبة حاضرا بين الأصوات الروائية لتميز محتوى النص عن الخطابات الأخرى التي تعطي الأسبقية للقيم والأفكار الغيرية والحرص على تذويت الكتابة يقترن بتوفير رؤية للعالم تحمل بصمات الذات الكاتبة»[21]، والقارئ لهذه الرواية يلمح منذ البداية استعمال ضمير المتكلم أنا ما يوحي له وكأن هذا العمل عبارة عن تجربة وقصة حقيقية واقعية .

7_ التجريب على مستوى البنية السردية للرواية:

1_7_ الشخصيات:

أثارت رواية " شاطين بانكوك" قضية هامة وحساسة جدا، فقد كانت أحداثها واقعية لكن أسماء الشخصيات كانت من خيال الروائي فقد أشار إلى ذلك منذ البداية في قوله « تحتوي الرواية على معلومات حقيقية اخترت بعناية من عالم الإنترنت الخفي، وترجمت على شكل رواية تسرد حقائق واقعية ودموية تمارس في حياتنا وتخفى عن أعيننا أما الشخصيات فمستوحاة من خيال الكاتب»[22]، وقد ارتكزت هذه الرواية بالدرجة الأولى على شخصية " قيصر" البطل الذي كان يسرد أحداث الرواية في البداية على لسانه وكيف دفعه فضوله إلى دخول عالم الإنترنت وماذا نجم عن ذلك الفضول إذ يقول « قررت أن أطلق العنان لقدراتي وأن أصقل مهارتي في عالم رقمي يلفه الغموض يجهله البعض ويخشى ولوجه البعض الآخر، عالم مخفي عن أعيننا، تمارس فيه ما لا يتوقعه عقولنا من أفعال، ويباع من خلاله ما لا يخطر على بالنا من مواد، كل ما تتفحصه على مستوى شبكة الإنترنت العادية يعتبر جزءا صغيرا جدا من أصل وحش مرعب يدعى الإنترنت العميق، والذي لم يسبق لأحد معارفي أن شهد عليه تجربة شخصية، لذا قررت أن أكون فاتح الطريق والملهم نحو هذا العالم الغامض»[23] ، لتتولى بعد موته شخصية أخرى في تكملة قصته وهي صديقته (إلين) ذات الأصول الأردنية« أدعى إلين سليم، وأنا إمرأة أردنية مطلقة أقطن حاليا في لندن بمقاطعة أوتاريو، تشاركني السكن ابنتي الوحيدة سوزان ذات العشر سنوات، اعتبر أول صديقة لقيصر في كندا حيث تعرفت عليه داخل القطار، وقمت بنقله معي إلى مدينة لندن..»[24] إضافة إلى شخصية (كريستينا بيتروفا) الفتاة الشيطانة التي عرفته بنفسها قائلة« أدعى كرستينا بيتروفا وأنا شابة روسية أتت لإنقاذك من الموت...»[25]، وأيضا شخصية (بيل الأرنب) زعيم العصابة الذي لم يتعرف عليه إلا حين تم بتر ذراعه والآكل منها إذا خاطبه قائلا:« أتذكر تلك الرسالة التي تلقيتها في حاسوب كرسيتينا بمقاطعة كيبك؟ أنا هو صاحبها رئيس منظمة القتلة المأجورين التي تجاوزت حدودك معها... وصديقك الجديد الأرنب.. يمكنك مناداتي بلقب بيل الأرنب» [26]، نجد كذلك شخصية " العم رقيب " وهو محامي سوداني فتح أمام قيصر فرصة للعمل في مطعمه... وغيرها من الشخصيات التي دارت في فلك شخصية البطل ولعل المميز في رسم الروائي لشخصياته هو تركيزه إلى البعد النفسي والجسمي أكثر من البعد الاجتماعي إضافة إلى منح السارد لشخصياته حرية تقديم نفسها مباشرة على لسانها .

2_ 7_ المكان:

كانت الرواية عبارة عن سلسلة لوحات حاولت تصوير أماكن مختلفة انتقل إليها البطل خلال رحلته نحو المجهول، فحتى المكان في هذه الرواية كان عنصرا مهما ومساهما في بناء الأحداث مثل اطلاق البطل الغرفة التي كان يقطن بها في كندا بالغرفة المظلمة أو the dark room تيمنا بالأفكار المجنونة التي تراوده بين جدرانها وقد تميز وصفه بالدقة والتركيز على الجزيئات البسيطة« تقدمت منه ولم أتردد في أن أسأله عن مكان آوي إليه الليلة، ليجيبني بامتلاكه استوديو للكراء بمبلغ مناسب للمهاجرين أمثالي، وهو قريب منها فاتجهت معه مباشرة إلى المكان، الذي بدا لي ضيقا وعاما، بعد أن عاينته من الداخل، إلا أنه نظيف جدا ومرتب ومناسب لعيش عازب مثلي»[27]، كما أنه وصف أيضا وبخاصة استوديو التعذيب أو تصوير والذي أطلق عليه الكاتب اسم الغرفة الحمراء، نتيجة الدماء التي كانت تراق فيها على الهواء مباشرة لضحايا أبرياء والذي وصفه البطل عند أخذه إليه بقوله:« بعد دقائق من المشي وصلنا إلى المكان المنشود، فكت عني القيود وتم وضعي داخل أستوديو تصوري عصري به كاميرا رقمية وأدوات غريبة تبدو منها التعذيب، فقد كان الحائط الجانبي مليئا سياطا سوداء وكمامات جلدية، إضافة إلى سيوف وخناجر ومنشار آلي ملقى على الأرضية أخذت أتفحص بحذر وخوف»[28] وقد مورست عليه هو آخر أثناء تواجده به شتى أنواع التعذيب بثت على الهواء مباشرة « اقتربت مني كريستينا ثم أمسكت بي جيدا وانتزعت عني القميص الجديد الذي ألبسوني إياه منذ قليل، ليظهر ساعدي الأيسر لها، وبحركة خاطفة منها جرّت عليّ السكين المسنن دون أي رحمة، حتى ظهر عظم مرفقي من اللحم وانتشرت رشاشات من الدماء على الأرضية، فانتفضت من حرارة الألم وانتابني شعور بالدوار والغثيان لبشاعة المشهد وفقدت قدرتي في الوقوف على قدماي لأهوى ساقطا على الأرض مسلما أمري لخالقي»[29] ، ومن الأماكن التي عانت منها أيضا الشخصية البطلة " سيارة الإسعاف التي كانت فيها" الخلفية مظلمة وباردة، ولكن سرعان ما أنيرت المصابيح واختفت العتمة، فكشف لي المكان عن سرير أبيض قد أحيطت به معدات طبية متطورة من كل جانب، وفتاتان مقنعتان جالستان على طرفيه، فقد تبين لي من لباسهما أنهما جرحتان... مرت قرابة عشرون ساعة وأنا داخل سيارة الإسعاف المزيفة، دعوني أطلق عليها اسم سيارة " إبليس "»[30] نعم لقد كانت سيارة إبليس فعلا فإذا كان أستوديو التعذيب قد أفقده ذراعه

فإن سيارة الإسعاف قد أفقدته كليته، ليكون المكان الأخير الذي احتوى هذا البطل في تايلاند المطار الذي أحرق فيه بالبنزين ليعود إلى أرض الوطن جثة هامدة.

8_النهاية المفتوحة:

تميزت " شياطين بانكوك" بنهايتها المفتوحة، التي من شأنها أن تترك القارئ متلبسا في الشك حول مصير الشخصيات خاصة شخصية " إلين " وابنتها " سوزان "كونها غدت هي الأخرى الضحية التالية لأعضاء القتلة المأجورين « يبدو بأنك تشبهين صديقك قيصرا كثيرا، ولكنك انفعالية نوعا ما، سيدتي إلين.. لقد كنت أراقبك طوال الفترة وانتظرت فقد فرصة سانحة... كي أرسل لك هذه الرسالة.. فالفتى الذي كان جليسك قبل قليل، ما هو إلا أحد أتباعي الجدد.. فإن وصلت إليك هذه الرسالة فهذا يعني نجاحه في مهمته الأولى ونجاته من الموت، اسمعي جيدا لما سأقوله.. إن صادف ونشرت قصة صديقك.. فاعتبري نفسك هالكة لا محالة.. ولا تسأليني كيف علمت بأمرها لأن كل شيء بات واضحا.. فإيمايل " قيصر "كان ملكي منذ البداية... ومن غبائه أنه استخدم نفس البريد الإلكتروني الذي يتعامل به في الإنترنت الخفي _ بيل الأرنب_» [31] ، فقد علمت بجميع أسرارهم من صديقها " قيصر قبل وفاته"، وتعهدت بنشر قصته ونقلها إلى الرأي العام وفضح جرائم العصابة رغم تهديداتهم لها « أنا واثقة بأن الحاج أحمد سيبلغ اليوم الذي سيعرف فيه حقيقة ما حصل لابنه " قيصر" وهذا بعد تنفيذي لوصيته ونشر حكايته للعامة، حكاية شاب حالم سحبه عالم رقمي إلى الموت دون رحمة أو شفقة» [32].

لقد عمل الروائي " عبد الرزاق طواهرية " في روايته " شياطين بانكوك" على تثوير بعض الأفكار والرؤى الحديثة التي تهدف إلى ضرورة محاربة ما يسمى بالفساد الالكتروني، وكذا تميزه بتوظيف أساليب لغوية وجماليات فنية عديدة مست(العنوان، الغلاف...)، كما كشفت عن معالم متفردة في مسيرة الروائي الشاب، فقد نجح في اتقان لغة الكتابة السردية الجديدة شكلا ومضمونا.

الهوامش:

1_ محمد برادة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد، شركة الربطة، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص58.

2_ محمد عزام: فضاء النص الروائي _ مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 1996، ص78.

3_ صلاح فضل: التجريب في الإبداع الروائي، الرواية العربية " ممكنات السرد" أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان قرين الحادي عشر 11_ 13 ديسمبر2004، دولة الكويت، ص85.

4_ محمد برادة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد، ص65_66.

5_ عبد الحق بلعابد: عتبات(جيرار جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1 2008، ص14.

6_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7_ عبد الرزاق طواهرية: شياطين بانكوك، منشورات دار المثقف، باتنة، الجزائر، ط1، 2017، ص59_60.

8_ عبد الحق بلعابد: عتبات(جيرار جينيت من النص إلى المناص)، ص63.

9_ عبد الرزاق طواهرية: شياطين بانكوك، ص24.

10_ المصدر نفسه، ص06.

11_ المصدر نفسه، ص4_5.

12_ محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد، مجلة دبي الثقافي، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص54.

13_ عبد الرزاق طواهرية: شياطين بانكوك، ص25.

14_ المصدر نفسه، ص6.

15_ المصدر نفسه، ص100.

16_ المصدر نفسه، ص29.

17_ المصدر نفسه، ص 42.

18_ المصدر نفسه، ص66.

19_ المصدر نفسه ص 129.

20_ المصدر نفسه، ص9.

21_ محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد، ص67.

22_ عبد الرزاق طواهرية: شياطين بانكوك، ص7.

23_ المصدر نفسه، ص24.

24_ المصدر نفسه، ص124.

25_ المصدر نفسه، ص52.

26_ المصدر نفسه، ص104.

27_ المصدر نفسه، ص20.

28_ المصدر نفسه، ص92.

29_ المصدر نفسه، ص26.

30_ المصدر نفسه، ص138_ 139.

31_ المصدر نفسه، ص139.

32_ المصدر نفسه، ص134.